الشعر والشعراء

الشعر ضرب من ضروب الكلام يمتاز عن سائره بأوزان واساليب مخصوصة وتصرف في التخيل بحيث يؤثر في نفس المنشد والسامع فيحرك انفعال للنفس ويؤثر في عاطفتها . ويوجد في جميع اللغات وعند كل الامم هو ميعار افكارها وقسطاس مداركها

يتوهم قوم ان اشتراط التأثير في النفوس غير صحيح بالنسبة للشعر العربي وانما هو للشعر اليوناني الذي يذكر في المنطق ومن وقف على سيرة شعراء العرب ولاحظ اغراضهم ومقاصدهم تجلى له انها دائرة بين ترغيب وترهيب واستماحة واستعطاف وتشويق وتنفير واثارة شجون وتسهيل حزون وما أشبه هاتا. يشهد لهذا قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه «الشعر جزل من كلام العرب يسكن به الغيظ ويطفأ به الثائرة ويبلغ له القوم في ناديهم» نعم إن هذا لا يطابق ما عليه المتطفلون على موائد هذه الصناعة في هذه الايام وقبلها باحوال واعوام الذين

يجهلون الصواب منه ولا يد روون للجهل أنهم يجهلونا

ولا يوجد عند هؤلاء من الشعر الا صورته وتمثاله . فان كانت صورة الانسان تسمى انساناً فاجدر بكلامهم الذي ليس فيه غير الوزن ان يسمى شعراً . ويؤذن بما ذهبنا اليه قول ابن رشيق الذي وفى هذه هذه الصناعة الشعرية حقها من البيان في كتابه « العمدة » كما يعلم من مقدمة ابن خلدون حيث قال من قصيدة

انما الشعر ما تناسب في النظ م وان كان الصفات فنونا

فأتي بعضه يشاكل بعضاً　　واقامت له الصدور المتونا
كل معنى اتاك منه على ما　　تتمني لو لم يكن ان يكونا
فتناهي من البيان الى ان　　كاد حسناً يبين للناظرينا
فكأن الالفاظ منه وجوه　　والمعاني ركبن فيها عيوناً

الى ان قال بعد ما ذكر المدح ثم الهجاء

فجعلت التصريح منه دواء　　وجعلت التعريض داء دفيناً
واذا ما بكيت فيه على العا　　دين يوماً للبين والظاعنينا
حلت دون الاسى وذللت ما كا　　ن من الدمع في العيون مصونا
ثم ان كنت عاتباً جئت بالوعد　　وعيداً وبالصعوبة لينا
فتركت الذي عتبت عليه　　حذراً آمناً عزيزاً مهينا

وذكر بعضهم مذاهب الشعر في قصيدة قال فيها

واذا بكيت به الديار واهلها　　اجريت للمحزون ماء شؤونه
واذا اردت كناية عن ريبة　　باينت بين ظهوره وبطونه
فجعلت سامعه يشوب شكوكه　　بثبوته وظنونه بيقينه

وانت ترى ان هؤلاء صرحوا بان التأثير في النفوس من مقاصد هذه الصناعة ولك ان تجعل ذلك شرط كمال ، وترمي من أخل به بالنقص والاختزال .

الشعر ديوان العرب ، وينبوع الادب ، وقد ورد فيه من الحديث الشريف « ان من الشعر لحكما » قيل ان سبب الحديث انه جرحى الصحابة تعسر عليهم امساك دمه حتى جاء حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه فاشار بالكافور وانه يمسك الدم ان يسيل فكان كما قال فسأله النبي صلى

الله تعالى عليه وسلم من اين أخذه فقال من قول امرىء القيس :

فكرت ليلة هجرها في وصلها فجرت مدامع مقلتي كالعندم
فطفقت أمسح مقلتيّ بخدها اذ عادة الكافور امساك الدم

فقاله . ولا يصد عن قبول هذا ان اطلاق الحكمة على الطب عرف حادث فقد كان يراد من الحكمة العلم النافع والطب منه بلا خلاف .

كان الشعر عند العرب يتناول جميع معارفهم وحكمهم واخبارهم في حروبهم ومعايشهم وسائر شؤنهم ولولا الشعر لما تسنى لعلماء الملة ضبط العربية كما ضبطوها لان المحفوظ من المنثور قليل لا يفي بالغرض

ان الصنائع القولية والعلمية تنمو بنمو الامم وترتقي بارتقائها . والشعر صناعة من الصناعات اللفظية لكنها لم ترق مع رقيّ العرب في مدنيتهم التي افادها لهم الاسلام الا قليلا حتى هبطت من أوج عزها وكادت تندرس رسومها وتمحى اطلالها بالكلية . صدمها بعد صدمة اللغة المعروفة صدمة أخرى خاصة بها أوقفتها في موقف ضيق حرج وهو وصف الاناسي أحياء (بالمدح والهجاء) وامواتا (بالرثاء) الى ما يلتحق بذلك من الغزل والنسيب الذي يستهلون به قصائد المديح . وبيان ذلك أن اللسان لما ملكت عليه أمره العجمة الطارئة (وهي الصدمة الاولى) ووضعت الفنون لضبط العربية صار تحصيل ملكة الشعر عسيرا والعسير لا تتوجه النفس لطلبه الا بباعث قوي وتصور فائدة توازي العناء في تحصيله ولم يكن يتوقع منتحل الشعر فائدة في غير ما ذكرنا من أنواعه لما كان الملوك والامراء من المستعربين والعجم يسنون من الجائزة على المدح دون سائر ضروب الشعر التي كان يجاز عليها في أيام دولة بني أمية

وصدر دولة بني العباس حيا بالشعر نفسه واحياء لسنة العرب الذين هم من صميمهم بل كانوا يجيزون النقله والحفاظ حرصا على تعرف أخبار العرب وآثارها واحياء لغتها. صار الغرض من الشعر الكدية والاستجداء (الشحاذة) وكثر فيه الكذب (في المدح) والبذاء (في الذم) فانف منه أهل الهمم وترفع عنه أرباب المراتب فهبط بمتحليه في مهواة عميقة مظلمة ضيقة .

سنذكر في العدد القابل ما ينبغي أن يكون عليه الشعر والمقابلة بين قديمه وحديثه

اكتشاف

جاءتنا رسالة من صديقنا العالم الفاضل الشيخ محمد أفندي رحيم الطرابلسي سماها « اكتشاف مسألة جديدة من الجغرافيا الرياضية أي علم هيئة الارض » يدعى فيها « انه لابد وان يوجد على وجه الكرة الارضية نقطة معينة يكون اليوم في الاماكن التي في جهتها الغربية غير اليوم في الاماكن التي في جهتها الشرقية في أكثر الدورة اليومية بل يكون ذلك في المكانين الملاصقين لها من جهتيها دائماً تقريباً وكلما بعدت الامكنة التي في جهتين من تلك النقطة عن بعضها قل مقدار ما بينها من الاختلاف : فلو كان في المكان الملاصق لتلك النقطة من جهة الغرب زوال يوم الاثنين يكون في المكان الملاصق لها من جهة الشرق مضى